في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل والاسترقاق فايهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا
لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة والمراد بالفداء ان يفادي باسراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء الى ان الاية محكمة
والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم
بالمال او باسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي
واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء
وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه
في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل
تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد
قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط
منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم
تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان
من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى
فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم من عند النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال له قايل اصبوت
قال لا ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم اي بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال
اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين الذين اسرتهما
ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى حتى تضع
الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال
واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب
والركب وقيل الاوزار هم بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم
اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل
الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم
عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر
امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا وقال الفراء حتى
لا يبقى الا مسلم او مسالم ذلك يعني الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني ولو يشاء الله
لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ولكن يعني ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل
من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهداء وقرئ

قاتلوا

قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى
قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني
ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم ويرضي اعمالهم ويقبلها ويدخلهم
الجنة عرفها لهم بين منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها
كانهم سكنوها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في
الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف
اي مطيب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله
وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا فتعسا لهم
قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء
لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا
قيامه وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المومنين
ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصير متوهم ويثبت قدمه
في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق
المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم واضل
اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني التعس والاضلال بانهم كرهوا ما
انزل الله يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة
على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك
والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم
التي عملوها في غير طاعة الله لان الشرك يحبط العمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر الله عليهم يقال دمر
الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يخص والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم
واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبما جاءهم به من عند الله وهو التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان الله اي
بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني
لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها
فلاجرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس
ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكفار في الدنيا ذكر حالهم في
الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا
لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام يعني
ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالانعام
لان الانعام لا عقل لهم ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما لا يضره ولا ينفعه وقيل المومن
في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي

Copyright © King Saud University